

# الإنسان .. في الرواية الأميركية المعاصرة

تأليف الناقد ارموند فولمر  
ترجمة وتحرير توفيق صهر راري

## مقدمة

دراسته واهتمامه . وفي هذه الأيام تبدل كل شيء ، ان انحلال الفرد نفسه .. الانسان هو المشكلة التي يعانيها الفنان ، فهو يفوس في أعماق معضلة الفرد ، باحثاً عن أسباب حيرته وتمزقه . ونحن هنا أمام صورة هذا الانسان .. الصورة التي يرسمها لنا روائيو اليوم .

ان صورة الانسان في الادب الاميركي الحديث وبقيضة وممسوخة ، فمعضلة الانسان ووضعه وموقفه في معظم رواياتنا مهروزة العالم، غائمة الخطوط ، فالكاتب يقف في المؤخرة ، ينظر لانساننا الحديث بروح انعزالية ، ودونما اكرثا ، دون المشاركة ، او محاولة التدخل في حياة هذا الانسان ، وابداع الحل الصحيح له . وهذا بلا شك انحراف في ادب الرواية ، أغزر ما لدينا من الانتاج الادبي في هذا البلد ، بل هو الوجه الوحيد لادبنا الاميركي أمام العالم . وهو فوق ذلك خروج على المبادئ الاخلاقية التي يجب ان يلتزم بها الروائي ازاء مجتمعه، وانحراف عن التقاليد التي بنيت عليها اجيال امتنا ، وذلك بانكار كل تراث ادبي تحدر البنا عبر السنين الطويلة التي عشناها وعاشتها اجيال قبلنا . وليسهل علينا تصنيف الكتاب عدنا حسب نظرته للانسان - اذ هم منقسمون الى فرقاء وشيع وطوائف ، وكل فريق يعتنق مذهبا فكريا معيناً - نجد ان لابد من طرح السؤال التالي :

ما هي نظرتك للانسان ؟؟

وردا على سؤالنا هذا يأتي الجواب مؤكدا في دلالة على التمهيد بالعنف والوحشية والجنس ، ومقت النفس البشرية لنفسها ، ثم وباء القلق ، فالتمهيد لامتناع العزلة والاحساس بالتفاهة .

سيبقى الانسان هو المحور الذي يدور عليه الادب ، ويرتكز اليه الفكر ، ما بقي الانسان ينتج ادبا او يضع نظريات فلسفية ، او يخطط للتفكير الاجتماعي .. وحتى عندما يتظاهر الكاتب انه يتناول كائنات غير انسانية لبحته او قصته ، كخرافات عن الحيوان ، او اساطير عن الجنيات ، او ما يدعونه بالادب العلمي .

ان العالم يقف الان منشقا على نفسه لسبب واحد، هو الاختلاف على النظرة لهذا الانسان ، سياسيا وفكريا وفنيا وعلميا ودينيا ، وادبنا يعكس ، بلا شك ، هذا الانقسام بل هذه الانقسامات حول طبيعة الانسان والنظرة اليه . وتنشأ الصعوبة في تقدير هذا الانعكاس، انعكاس الصورة، حينما تكون الانقسامات غير واعية او غير مدركة لهذه القوى المتصارعة في ادمغة الناس حول انفسهم وطبائعهم ، وامكاناتهم واجناسهم واهدافهم والتزاماتهم .

وما لم يكن الفنان ذا نظرة صادقة فعالة ، تصدر عن تجربة معاشة بين الناس فانه لن يحصل على الجمهور الذي يبتناه . ان الفنان الذي يلاصق الشعب ملاصقة تامة ، وبمي مشاكل حياته بدقائقها وعظائمها، هو الوحيد المكلف بالفناء الضوء على حياة الفرد العادي ، ومن ثم وضعه في المكان اللائق به .

ومادنا بصدد البحث عن جواب (( ما هي نظرتك للانسان ؟ )) ، فلا مناص لنا من ان نبحث الرواية التي تهتم بهذا الانسان ... الرواية التي تفترض ، وترى الانسان كأننا مفطورا على الخير ، متطورا باستمرار ، صاعدا للكمال ، ومليبا لالتزاماته الاخلاقية في المجتمع الذي يعيش فيه . ان الانسان يعيش في عالم اخلاقي محايد مخلوق بقوى الصدفة . وعلينا ان نتعرف على وجه هذا الانسان، لانه يطالعنا في كل سطر خط في

اذا كان لا مفر من احتراف الكتابة ، واتخاذها وسيلة ، لتصوير مشاكل المجتمع ، واذا كان لا مفر من اعتبار كل ما تخرجه المطابع ودور النشر في كل يوم ، وبالمناسبات ، ادبا ، فباستطاعتنا حينئذ ان نجد حشدا كبيرا من الكتاب ، وكتاب الرواية بصورة خاصة ، يحسون بينهم وبين انفسهم انهم قدموا للمجتمع خدمة جلي ، وادوا ضريبة فرضها عليهم ضميرهم . لقد قدم لنا هؤلاء رواياتهم بالسرعة نفسها التي تنتج فيها آلة حديثة من آلات القرن العشرين اداة منزلية ، او ترفيحية بسيطة . ان المشكل ليس في فقدان حملة الاقلام وخلو السوق من الكتب الادبية . بل المعضلة هي في ان نسبة ضئيلة جدا من هؤلاء الكتاب ، استطاعوا ان يقدموا لنا اشياء دسمة ، فيها رائحة الادب ، وتحمل في صفحاتها الافكار الايجابية البناءة . ان ادبنا سيظل في دائرة الشك .. ايصبح عالما ، ام يبقى محصورا بين المحيطين ، ان لدينا قلة من هؤلاء الذين يستطيعون ان يدللوا على ان لديهم اشياء جديدة يقولونها لنا ويكشفونها .

وساقتهم في هذا الكتاب بما يقوله الكاتب ، بغض النظر عن الحالة التي الزمته ان يقول ، ويعبر عما اراد او الزم به . وطبيعي ان عزلا تماما بين التفكير والتعبير ، وبين السبب والمسبب له امر غير ممكن .

فكل اثر ادبي يؤخذ دائما على انه مثل لحالة ذهنية او زمانية ما . وما لم تكن هناك قرائن واضحة تظهر ذلك التمثيل في اي عمل فني، فان الاثر يظل موضع شك في نجاحه او فشله . ان ذلك تابع للصورة التي يرسمها الفنان للانسان ، والصورة التي ألح على ابرازها هنا ، ليست صورة نموذجية افرضها على الكاتب ، كما ان عدم وجودها في اثر ادبي، لا يعني نقصا فنيا عند ذلك الكاتب ، والروائي الفنان بصورة خاصة . فبإمكاننا ان تكون خونة ، او مواطنين شرفاء ، وبإمكاننا ، ان نكون موهوبين خلاقين ، ولكننا ، نستخدم تلك الموهبة الخلاقة في مسخ الانسان وتشويهه ، وابرازه على غير حقيقته .

وما دام الانسان هو المحور الذي يرتكز عليه ويدور حوله كل فن ، فيجب ان يظل العنصر الاساسي المشرق ، لا المسوخ ، الذي يلج عليه النقد .. الصورة الحقيقية للانسان ، الانسان الكريم ، والفكر المبدع الخلاق ، والفنان الحقيقي هو الذي يقف بقوة، غير متأثر بالبديح او اللم، ولا يلتفت لما يقال عنه اي التفات ، كان ذلك في مصلحته او ضدها، انما يفكر ويعمل حسب اصالته المتفردة الخلاقة .

## صورة الانسان

يتميز هذا العصر عن بقية العصور ، بانه عصر القلق ، عصر انشقاق الروح ، العصر الذي لا يقاسي فيه الانسان الاضطهاد والمجاعة والعمار في زمن الحرب فحسب ، بل هو يقاسي من مشاكله الداخلية الذاتية الممزقة . فالرعب واليأس والانعزال والقط ، والشعور بالتفاهة، يحسها كائنة في صميم وجوده . ان اليأس والشعور بالتفاهة يعذبان انسان هذا العصر ، وفي لحظات حياته الضائعة الفارغة ، اكثر مما يفعل به شبح الحرب ، وما يجلبه من الدمار . ان التقدم المادي الهائل، واحتلال الآلة مركز الانسان ، هو الذي يجعله يشعر بالانسحاق تحت وطأة واقعهما البهظ ، لقد اصبح الانسان صفرا في عصر الآلة .

مر - زمن ، اعتاد الكاتب فيه ان يجعل من انحلال المجتمع موضوع

ادب القرن العشرين ، وبصورة خاصة في آثار ( برنارد شو ) و ( هـ . ج . ويلز ) .

أما في الادب الأميركي الحديث ، فيختلف الامر كليا ، سيما الآثار التي خلفتها السنوات الخمس والعشرون الأخيرة . فهناك فيض غامر من الروايات الأميركية ، التي تعرض في السوق حاليا الانسان فيها « شيء » وموضع تهكم وسخرية ، عاجز وبدون هدف . نأفه ومعزول ، مطبوع على الشر ومنحط ، غير مستجيب لالتزاماته الاجتماعية وغارق في نفس الوقت في تقريرية مبهمة من الاقتصاد والحياة ، شخصيته - كفرد - ملغاة ، او مضغوطة ، ويعيش في عالم حقود .

ان هذا المخلوق - ماديا - أقل من انسان ، بل أقل من فرد ، فمثلا « مرسولت » بطل ( كامو ) في روايته « الفريب » لا يمكن أن يكون بحال من الاحوال الا نصف انسان بالضرورة سواء ، رآه كامو مفطورا على تلك الحالة ، او أنه انحط اليها ، ونفس الشيء يقال عن « ديفيد ليهورن » بطل رواية « نلسون الجيرن » ( نزهة على الشاطئ المفر ) . كما هو الحال في معظم الروايات الأميركية الحديثة .

هذا النموذج من الكائن البشري تكاد لا تغلو منه رواية أميركية حديثة واحدة . وهو ما قال عنه ( ك.س . لويس ) « أنه دعوة لانفاس الإنسانية في الكائن الانساني » .

ان هذه النظرة السوداء ، كانت ولا تزال قائمة حية ، تمتد اصابعها الى كل اتجاه وتنتشر وتنتشر ، فهي ذات كيان ووجود وتأثير على عقل الجيل الشاب . وأكثر من ذلك : لقد أصبح لها فريق من النقاد يدافعون عنها بحرارة ، ويضعون لها المبادئ والبررات ، وهي تضم تحت جناحها فريق الملاحدة من الوجوديين ، والملاحدة من الوجوديين يؤكدون على تفاهة الحياة وعظمة الموت . ويشرح « نيقولا برديف » هذا بقوله « الحقيقة العميقة الحية ، هي ليست في أن العالم والوجود تافهان ، انما العالم يمر في مرحلة نافهة » ، وقد أصبحت الشعارات الوجودية هي المناوون الكبرى لدى كتاب روايات اليوم .

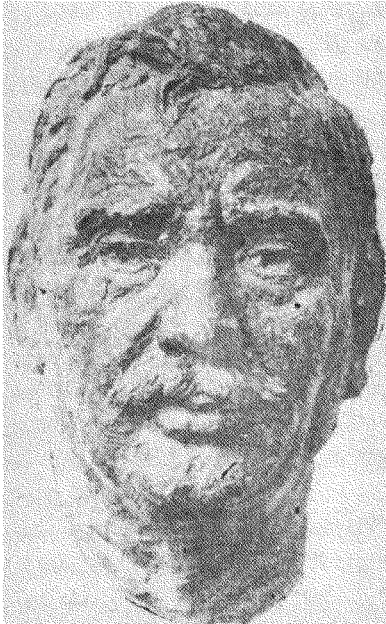
### احياء الخطيئة الاولى

كان ما جاء به كلفن لوتر ، هو تعاليمه للمسيحي عن الخطيئة الاولى وسقوطه ونهاية مسعاه . وهو ما عرف فيما بعد « بالتجربة الجماعية » . فقد رأى كلفن لوتر ان الناس قد انحدروا نحو الفساد والانحطاط ،

وان الفجور قد شمل كل امكاناتهم ، وساد مؤسساتهم ، وان لا سبيل الى خلاصهم الا بالعودة الى الايمان بفداء المسيح العظيم . وفي مقابل هذا ، فان نظرة الشريعة الكاثوليكية حول طبيعة الانسان - بالرغم من احترامها لهذه الطبيعة الانسانية ، وكون الكائن البشري جريحا اذليا بسكين الخطيئة ، وهو ما يستدعي الفداء من خلال المسيح العظيم - لم تحاول أن تعبر تعاليم كلفن أي اهتمام ، بل رفضتها وأنكرت عليه فكرته القائلة ، « ان طبيعة الانسان تتحول كليا الى عنف وتعيش في السقوط » . وفكرتها هي ان صورة الاله وعناصر المسيحية ، والاخلاق ، لا تزال تنضم عليها جوارح هذا الانسان .

ان هذا العصر قد شهد دراسات عدة عن المسيحية وكلها قائمة على الرؤية الخاطئة . وليس هناك من مثل اصدق على ما ورد عن قضية الخطيئة الاولى - خطيئة آدم - مما أورده جماعة تطلق على نفسها « الانسانيون المنحرون » - والذين هم غالبا يجهلون الشريعة المسيحية على حقيقتها ، عدا عن انهم لا يستجيبون لموتها، ويرونها على انها غير عادلة .

ان الاسلوب السطحي في التشخيص ، والذي غالبا ما يكون تعبيرا، عن أفكار فرويدية ، غير مهضومة ، يميل لان يصور لنا الانسان « فارا في مصيدة » او شيئا محصورا بين جدران علبة صغيرة . ليس له حرية الاختيار أو الحركة . وهو خاضع لزوج اللحظة التي يختارها الكاتب وبسبب هذا يصبح الانسان ( ذلك ) وتفشل لدى مثل هذا الكاتب صورة الشخصية التاريخية . لانها تفترض لنفسها الكمال والنضج في الوقت الذي لا يوجد فيه تفسير او تحديد للشخصية الكاملة في الحياة . ليس بإمكاننا أن نعرف على كل الحقائق التي تكون شخصية انسانية ما . واقترض الكمال (كذا) هو ما يكشف لنا الزيف في مثل تلك الشخصيات . ان « اللاوجود » حسب تعبير سارتر بالنسبة لأي كائن ، حيث لا منفذ للخارج هو ما تعانیه قضايانا الادبية ، والنظرة المخلصة عن الانسان . . . لم تستطع حتى الان أن تكشف لنا عن انسان مجبر بشكل فاطح ، ليس لديه من الاختيار شيء - أجل ان حياة الانسان - تبعا للظروف والمحيط ، والوضع الاقتصادي والمشكلة الاخلاقية - قد تقوده احيانا الى حيث يكون فيها اختياره محمدا ، ولكنه يملك - دائما - حرية الاختيار في : ( نعم أو لا ) فاذا ما كان هذا الانسان محكوما عليه بالاعدام ظلما او عدلا ، فقد لا يكون لديه الاختيار في الحياة أو الموت



همنفواي



شتاينيك



وليامز

## — جون الدريج . . والبحث عن القيم —

منذ زمن بعيد ، وحتى الآن ، وجون الدريج ، ينتكب المسالك الوعرة في ثقافتنا ، ويفامر بأفحام مجاهل الفكر ، مقتديا بديوجين الذي كان يحمل مصباحه باحثا عن الهراطقة. ولقد كان احتجاج الدريج علينا أن كل ما وجدته في الادب الاميركي لا يخرج عن الالتزام بأمانة . وأنساق نتيجة لذلك الي عبارته المشهورة « فليكن ضلالك على نفسك » . وبالرغم من إحترامي الجمل لهذا الناقد ، أراه ينصب نفسه هرطقيا في داخل القيم الملتزمة في أدبنا الحديث .

كان كتاب الدريج السابق « بعد الجيل الضائع » يندب عدم وجود القيم ، ورأى في ذلك معضلة يعانها الادب الاميركي بوجه عام ، خاصة كتاب جيل الحرب العالمية الثانية ، وقد قال « إن ظروف العمل الادبي في هذه الفترة ، وما اقتضاه ، كانت تحتم مسؤولية الكتاب عن المرحلة التي يعيشون فيها ، وكان يجب أن تنعكس صورة هذه المرحلة على آثار كتابها ، ولكن الظاهر هو أن كل ما تركه لنا الادباء الاميركان ، مهزوز ، بل يكاد يكون مطموسا » .

ويرى جون الدريج أن مرحلة « الجيل الضائع » ( دوس ياسوس ، همغفواي ، فيتزجيرالد ، ولاردنر ) قد اندثرت ، لأن كيانها الطبيعي للقيم الثقافية قد انحصر ثم انهار والقيمة الكلية لتلك المرحلة التي تكمن في أدب الدريج ، هو أنه استطاع أن يعيش تلك المرحلة ، بمعاصرتة لها ، كما استطاع أن « يماسيها » .

إن الجيل الحاضر لم يستطع أن يخسر تلك القيم ثانية ، لسبب بسيط ، هو أن المرحلة الحاضرة لم تصلها تلك القيم ، وبذا فإن الجيل الحاضر ، لم يستطع القبض عليها ليخسرها ، لأنها سبقت وجوده حياة وموتها . وكل ما ترك لهذا الجيل هو أن يجعل من الحرب نفسها مأساة . ونناقش الآن فكرة جون الدريج التي تربط بين الكاتب والقارئ .

يقول الدريج « على الكاتب من الوجهة النظرية المثالية أن يتقاسم مع قارنه القيم نفسها ، وذلك لكي تكون المادة التي يختارها الكاتب القيمي قيمة لديه بمقدار ما هي قيمة لدى القارئ . ولكن تطبيق مثل هذا القول يفترض وجود مجتمع مثالي قائم على فروض اخلاقية ثابتة . نوع من المجتمعات ، لانتمى اليه في حياتنا الحاضرة » .

ونستطيع الآن أن نناقش مثل هذا الرأي لنؤكد عكس نظرية الدريج التي تقول أن ما تدور حوله أفكار الكاتب يجب أن يتضمن نفس القيمة من حيث اعتبار القارئ لذلك الموضوع الذي تدور حوله الفكرة ، ولكن هناك سؤال :

هل مقاسمة القيم بين الكاتب والقارئ هي - واقعا - هامة بقدر ما يراها الدريج ؟

هل الكاتب بطبيعته مصور فوتوغرافي أو عاكس ؟؟  
قد يحاول كاتب ناشئ أن يلقي بكل القيم الثقافية الموروثة من وراء ظهره . أما الكاتب ذو الشخصية القوية ، المتكئة فإنه يكون دوما على مستوى قيمي يعزله بعض الشيء عن قرائه ، وبإمكان مثل هذا الكاتب أن يخرج بآراء فيها من الحدة والفردية والشخصانية في اعتباراته للحياة ، ما قد يشير الاغلبية . ولكن مثل هذا لا يعدم جذب الاقلية اليه . وهذا ما يدعو للدهشة من أن الدريج يشكو من أن افتقار مجتمعا للقيم في هذه الفترة ، هو أساس ضعف أدبنا الحديث .

والظاهر أن الدريج يجعل الفرق بين القيم الثقافية للجمهور ، التي يندب غيابها من الادب ووفرة القيم والمقاييس والاعتقادات والعادات في المجتمع ، والتي يقول عنها في مكان ما من كتابه « ان على الكاتب أن يتقاسمها مع قارئه » .

الم يوجد ديكتر ، وبرنارد شو ، ووايلد وبترل ، واغلبية قادة الفكر والادب - وفي مختلف مراحل التاريخ التي عاشوها - قيما كانت على النقيض تماما ، مما تعارفت عليه مجتمعاتهم ؟  
ان لكل فرد قيما من نوع مختلف . كما أن لكل عصر قيمه الخاصة . ولكي يكون لبحث في القيم واضحا ، يجب أن يحمل في طياته بعض

ولكن يبقى لديه الاختيار في كيفية قبوله الموت . ان الاختيار والارادة هما عنصرا عظيمة الانسان . والامانة التي حملته الطبيعة مسؤوليتها . وصورة الانسان في الادب الاميركي الحديث ، التي تبرز لنا مجردة من عناصر امتلاك الحرية والارادة ، هي صورة لكائن اقل من انسان . . . نصف انسان بالضرورة ، أو بالحري « لا انسان » . فالفرد قادر على أن يمسح انسانيته بالكلام ، وأن يتقمص حالة « اللانسان » . . . وبذلك يدخل الى « الارض الخراب » بالتجديف والسلبية والرفض ، وانكار الارادة الحرة ، والمسؤولية الاخلاقية . ان هذا في المستطاع اذا ما اراد الانسان أن ينفصل عن النوع الانساني .

ان المذهب الانساني الذي ألح عليه هنا ، وأطالب بوجوده في الادب الاميركي ، هو ذلك المذهب الذي أعطى الفكر الغربي شكلا ومنحه كيانا خاصا في تاريخ الثقافة الطويل . ذلك المذهب الذي شحذ حساسية اللحظة لدى قادة الفكر في اللغات الاوروبية بصورة عامة والانجليزية بصورة خاصة .

فالكتاب الاميركيون ، وضعوا نصب اعينهم ، وركزوا اهتمامهم على نظرتين غريبتين كان لهما أثر ملحوظ في سياق الرواية الاميركية : فهم قد انضموا الى المعسكر الثقافي الذي يريد ويرغب أن يرى الانسان مفطورا على الخير ، ولكنهم مجبرون لأن يروا الشر كما في أعماق هذا العالم . وبهذا فهم يؤكدون على اعتناقهم لاجراء مذهب كلفن . ( السقوط الجماعي أو الكوني ) ، وعلى سبيل المثال نذكر هنا شتاينبك في روايته « شرقي عدن » و ( ويليام مارش ) في رواية « البذرة الشريرة » ، وكلا الروائيين لافتنا من الزواج ما لم تلقه رواية اميركية حديثة أخرى .

خلق لناشتاينبك من « كاتي آن » طفلة عنيدة شريرة بدأت بأرتكاب جرائم جنسية طفولية ، فتحاول أن تشعل النار بوالديها ، وتستمر في حياتها الاجرامية الجنسية لتصبح عاهرة ، ثم سيدة شاذة « كاتي شريرة » هذا ما يقول شتاينبك ويضيف « لقد مر زمن كانت فيه بنت مثل كاتي مضطرة لان تستجيب لرغبات الشيطان » ويفسر ذلك بقوله « اعتقد انه كثيرا ما يولد في هذا العالم وحوش من آباء آدميين . بعضهم تراه مسخا مرعبا ، برأس ضخيم ، وجسم هزيل دقيق ، وبعضهم بدون ذراعين أو ساقين ، وبعضهم بذيول وأقواء في غير مواضعها الطبيعية ، لقد خلقوا هكذا بالصدفة . وليسوا نتيجة لخطيئة أحد كما اعتاد الناس أن يظنوا ، من أن ذلك يكون عقابا جزاء لخطايا مخبوءة ، وكما يمكن أن يولد الانسان بدون رأس أو ذراع ، فانه بالإمكان أن يولد وهو عار من الرحمة والعاطفة والوعي ، واني اعتقد أن كاتي قد ولدت عارية من العاطفة والوعي . وبذا فقد اضطررها هذا النقص لأن تنهج في حياتها ذلك النهج ، لم تكن تشبه أحدا من الناس . . فقد كانت كذلك منذ ولادتها » .

ولكن . . ما هي نظرة وليم مارش . . في روايته البذرة الشريرة ؟ اننا نجد نفس النظرة الوحشية القاسية .

« بعضهم ولد هكذا فضاء وقذرا ، مجرمين منذ الولادة ، وليس في الامكان توجيهم أو تغييرهم أو اصلاحهم » . ولكن في الوقت الذي يحاول فيه شتاينبك أن يعتبر أن مثل هذه الاشياء توجد عند بعض الناس بالصدفة ، فإن وليم مارش يصير على أنها وراثية .

إن بطل « رودا » فاجرة لأن جدتها كانت فاجرة « انه عيب الجنين الاول ، وتري الام - أم رودا - نفسها انها كانت الواسطة والوسط الذي انتقل فيه الفجور من الجدة الى الحفيدة ، والتي حملت البذرة الشريرة ، الى « رودا » من جدتها ، والتي حملت من « رودا » ذلك النمط من الانسان » . هذا مثال على أدبنا الحديث . وهناك كتاب آخرون منهم « ليليان هيلمان » في رواية « ساعة الاطفال » .

وعيب هؤلاء الكتاب هو أنهم لم يحاولوا أن يساواوا بطل الرواية ببطلتها ، ففصروا ذلك الشذوذ على المرأة دون الرجل . وهذا ما هو في الواقع دون مذهب كلفن ، من أن كلا الجنسين سواء في الخطيئة . ان الانسان ليس خيرا وليس شريرا ، ولكنه كلاهما . واني اعتقد ان رؤية الشر الكامنة في الخير فكرة هادمة للشخصية الانسانية ، أكثر مما لو كانت الرؤية للخير الكامن في أعماق الشر .

الحقيقة . ان للماركسيين فيهم ، وكذلك للمسيحيين والملاحدة قيم من نوع آخر . والمذاهب الثلاثة تنطوي - الى حد ما - من وجهة نظر الفصيلة - على انبناء القيمي الذي يعطيها كيانا .

ان مشكله الكاتب المعاصر ، ليست في انعدام القيم من المجتمع ، ولكنها كامنة في قبول او رفض اختيار القيسة . كان ايسيكولوس وصوفوكليس ، يمثلان سدانة القيم في الثقافة الاغريقية . لم يكونا قد وضعا تلك القيم في ادبهما ، كانعكاسات لاحوال مجتمعهما في ذلك الزمن ، بالرغم من ان القيم التي وضعاها اكتسبت فيما بعد ، شكل القيم الاجتماعيه للثقافة الاغريقية بصورة عامة . كان وضعهما لتلك القيم اجتهادا فرديا ، ذلك لان القيم الاجتماعية في ذلك الزمن بالنسبة للاغريق - اخذت تميل للانحسار والتقلص ، واني اعتقد ان نفس الخطر ، خطر الانحسار والتقلص هو ما يعوِّم فوق ثقافتنا وقيمنا الاجتماعية . كما نجدها في كل مراحل الحياة الثقافية وفي كل المجتمعات .

والذي اضاعه ادبونا ، ليس هو الهيكل الشكلي للقيم ، انهم اضعوا النظرة الاساسية لطبيعة نوعهم الانساني ، فهم ، ليسوا على جهل بمعرفة من هم ، فحسب ، بل وما هم ؟ ايضا ... ، وتلك هي الاساسة الكبرى . الان ... الذي لا يعرف طبيعة الانسان فيه بل الانسد اما انه لا يعرف ( ما هو ) ، والى اي نوع من انواع الكائنات ينتمي .. فهل يمكن ان نطلق عليه كلمة «نسان» .. ما لم يعد الى نفسه من جديد ؟

ان اللغاب لا يلام على الخروج عن المجتمع ، لانه يعكس تجربة الضياع ، ان هذا من حقه البدهي . لقد رسم لنا « دانتى » صورة الضياع التي تنطبق على كل جيل وعلى كل عصر ، ويكاد يكون « فرانز كافكا » اعظم من صور مشكلة الضياع ، في هذا القرن وضياع كافكا نفسه يستمد حقيقته من جذور اليهودية الضاعمة ، ومشكلة اليهود الذين ينتشرون في كل صقع من اصقاع الارض .

## الاكلينيكية في الأدب

ان الادب هو صوت الانسان الحي في كل عصر . فما يتحدث به الناس في الشارع رعى مادة الطعام ، وفي غرف النوم والجلوس ، وفي نجاوهم في اسرنتهم ، وما يدون في سجلات المحاكم ، ووصفات العلاج التي يعطيها الاطباء لمرضاهم ، وتحليل الامراض ، والرؤى ، والاحلام المرعبة منها والمرحة .. كل هذه الامور على صلة بالادب . انها وثيقة الصلة بالادب ، ولكنها ليست في حد ذاتها ادبا . فهي تشكل - الى حد ما - مادة خاما ، تساعد في الفاء انضوء على مسمى الانسانية وسلوكها وطريقة حياتها . وهي ايضا ليست مادة الادب الحقيقية . ان الذي يصنع الادب الحقيقي هو جلاء ذلك النشاط الانساني - ومن ثم جملة دستورنا للانسان .

ان واحدا على الاقل مما ذكرناه على انه يشارك في تكوين الادب - ولكنه ليس الادب في حد ذاته - هو تلك الموجة الطاغية في ادبنا الكلينيكي - التشريحي - الحديث .

تقول الكاتبة « ابرو ولبرت » : ( ان يصبح الاديب طبيبا .. كذا .. يعني انه انحط الى اسفل الدرك .. ان الفن الطبي يدرك ان قضية الادب الاكلينيكي ، هي قضية ليست فقيرة فحسب ، ولكنها لا تفي بالفرض لتشريح المجتمع ايضا . ونحن لا نستطيع - دائما - ان نتعرف على كل الحقائق ، وان عدم معرفتنا هذه هي التي تعطينا الجانب الانساني في شخصيتنا » .

فكاتب الرواية مهما اورد من التفاصيل ، لن يستطيع ان يكشف لنا عن كل صغيرة وكبيرة ، حتى ولو عاش تجربة جيمس جويس . ان جيمس جويس نفسه ، ومن خلال تجربته الشخصية في حياته والتي انعكست على ادبه بصدق ، لم يستطع ان يحيط بكل جوانب ( ليوبولد بلوم ) اليومية في روايته بوليسيس ، ولا بمشاكل ( ابروكر ) بطل رواية « يفظة فينمان » ، التي تمثل حقيقة الليل ، وما يدور فيها من القضايا الجنسية ، ونحن ندرك معظم الاشياء في حياتنا بالتقدير . ان كاتبنا

الحديث يحاول ان يربط ، ويفسر ، ويشرح شخصية البطل ، كما لو كان هذا البطل مريضا في عيادة طبيب ، يخرج من العيادة ، وفي يده سجل طبي بكل اعراض واحوال مرضه .

ان الطريقة التي يلجأ اليها الطبيب مع مرضاه في العيادة ، هي طريقة ، غير مشروعة بالنسبة للفنان . ولا يمكن ان نقبل بزعمه على انها فن . وان محاولة جمع كل ما يدور من احاديث او اعمال في غرف البيت الداخلية او في الشارع ، او في فاعات المحاكم لا يمكن ان يبني رواية ، وسيضيع العمل الادبي ، وعندئذ لن يكون روشته طبية ، ولا لوحة فنية ، ولكنه يصبح شيئا آخر يختلف عن الاثنين .

« اننا نتعلم كيف نقرأ ، ولكننا لا نتعلم كيف نميز » .

هذا ما يقوله ( هيرما ووك ) . ومثل هذا القول لا يصدق على الصغار الذين يجلسون في مقاعد الدراسة الاولى فحسب ، بل هو ما يعاينه الكتاب الكبار عندنا ايضا .

ان خير مثال لخير طريقة في اللجوء الى اسلوب التشريح في الادب ، والتجربة الادبية الناجحة التي يمكن ان تعطياها حقها في سطور ، لما تمثله من جودة في الفن الادبي التشريحي هي الفصول الثلاثة المحنوفة من رواية دستوفيسكي « الماخوذ » .

فهو موضوع الاعتراف في هذه الفصول ، كما يقدمه لنا دستوفيسكي ، والذي يسجج انسجاما تاء مع ما هو شائع لدينا .. هو اغتصاب فتاة في الثانية عشرة من عمرها .

وقد ذكر دستوفيسكي الظروف التي ادت الى مثل تلك الحالة في المجتمع مقديا .. اما بالنسبة للاسلوب الروائي في استخدام مثل هذه المادة ، فان التأسيس الذي قام عليه العمل الادبي - روايا - كامل ومتمين ، حتى ان طبيعة العمل لتظهر واضحة ، وبدون ان يكون فيه نفرة واحدة يُنفذ منها الى الانتقاص من قيمة العمل ادبيا وفتيا . ان نهاية الرواية واضحة جلية ، بينما العمل الذي اقدم عليه البطل ، لم يحاول دستوفيسكي حتى مجرد وصفه لا من الخارج ولا من الداخل ، ولم

# روائع العالم والثقافة

لأول مرة في اللغة العربية نضع بين يدي القارئ  
العزني الترجمة الدقيقة لاروع المغامرات والجولات  
العالمية في دنيا العام والثقافة وذلك  
بحجم جديد وسعر زهيد واخراج فاخر

صدر من المجموعة

١- في اغوار المحيط ٢- الانسان رائد الفضاء  
٣- العالم المتجمد ٤- نسور الجو

ثمان العدد الواحد ١٠٠ قرشاً لبنانياً

مشورات المكتبة الأهلية - بيروت

« جرونيشكا » الى « كاترينا ايفانوفنا » - في الحقيقة - شخصيات متممة ، وصادقة في سلوكها وتصرفها ، ولكنهن لا يبرزن ككائنات حية . يقول نيقول نيقولا بردييف : « لم يحدث أن ظهرت المرأة في الادب كمخلوق مستقل ، وله وحدته الخاصة . لقد جعل دستوفسكي من المرأة في أدبه حجر طريق ، يسترشد به الرجل ، ويتخذها شاهدا على عظمته . ان روح أدبه رجولي من الوجهة الرئيسية ، وتأتي المرأة لتكسب بمثابة عنوان ، مأساة .. مأساة الرجل الداخلية .. انها ليست أكثر من عامل اجراء » .

ويقول بردييف بصدد الشخصيات النسائية اللواتي احتلن مكانة هامة في الادب بصورة عامة : « ليس بينهن امرأة عظيمة . وليس بينهن امرأة تمتع بطابع اسقلائي ، وفيمة مرموقة في نفسها ، فانقيمة التي نمرأة هي ما يمحصها اياها الرجل .. الرجل هو الشخصية الوحيدة ، المناط بها عظمة الكون ، وحيث لا تكون المرأة بالنسبة للرجل سوى تعبير داخلي » .

ان المشكلة الصعبة التي يجابهها الكتاب رجلا كانوا أم نساء ، في تشخيص المرأة تشخيصا حيا ، ناشئة من الاساس عن الوضع الثانوي ، او الأدنى مرتبة ، الذي فرض على المرأة في التاريخ . والمرأة بالاختصار ، من وجهة نظر الفنان كائن ضعيف ، غير ثابت الطبيعة ، بسبب وضعها في المجتمع ، وبسبب عقليتها وعاطفيتها في نفس الوقت ، وهو نفس السبب في ان الادبيات من النساء ، لم ينجحن في تصوير المرأة أكثر مما فعل الرجل ، سواء ابرزت صورة المرأة في الادب من خلال عالم الرجل الخاص وتعبيرا عن النظرة الجزئية ، أو البحث المتواصل عن الناحية الجنسية ، لتحقيق ذاتها وفرديتها .

ان صورة العلاقة بين الرجل والمرأة - العلاقة التي تتناول حقيقة الجنس - هي امر شائع في أدبنا ، سيما في آثار كتابنا الكبار . فالمرأة في آثار هؤلاء ، ليست سوى صورة مجسدة للفريضة الجنسية ، المنبثقة عن افكار الرجل ، وهي في حد ذاتها ، ثورة كثرى على القضايا الجنسية ، كما انها تحمل في حقيقتها ملامح اعتبار الرجل للمرأة في المجتمع . ان روايات كتاب ما « بعد الجيل الصانع » ، والذي ركز عليهم جون الدريج في دراسته « البحث عن الهرطقة » تطفح كلها بهذه النظرة الاحفارية للمرأة . ونجد في نفس الوقت ان نظرة هؤلاء الكتاب للمرأة ، في واقع الحياة ، مطابقة لنظرتهم اليها في قصصهم .

وإذا ما بحثنا في آثار هؤلاء الكتاب عن المرأة المستنة ، فأنا لن نجد ما نعرض عليها في سطر واحد من كل ما كتبه . ان كل أبطال رواياتهم من الفتيات المراهقات اللواتي تحرقهن الشهوة ، وتهزهن حمى المراهقة ، وهذا النموذج للمرأة في الرواية الاميركية بصفة خاصة ، موجود بنسبة تسعين في المائة من الشخصيات النسائية في الرواية المعاصرة . ولعل روايتي الكتاب جيمس جوم « من هنا والى الابد » و « البعض اتى راقصا » From here to Eternity . ثم رواية نورمان ميلر « حديقة الفزان » Some come running . The deer park هي اصدق امثلة على ما في أدبنا الحديث من نماذج للمرأة .

اذ ليست المرأة في هذه الروايات كائنا حيا غنيا ، وذات شخصية متميزة مستقلة ، وهي ليست طبيعية في نفس الوقت ، انما هي وسيلة ليس غير ، لسد حاجة الرجل الجنسية . ان الرومانسيين عننا ، قد وضعوا - مجددا - الحب على « الراف » ولم يعد باستطاعتهم رسم صورة حقيقية لهذا الحب ، كما انهم أصبحوا عاجزين عن الاحتفاظ بعاطفة الحب نفسها ، ان في حقيقتهم أو في رواياتهم ، فهم لا يهتمون بشيء في علاقة الرجل بالمرأة عدا العملية الجنسية - ثم يصرخون بملء أفواههم نادبين - على أنه لم يعد هناك حب ، وقد فقدت كل قيمة للحب في المجتمع . انهم يندبون غياب الحب ، وهم ناسخوه ، انهم لا يستقيمون شيئا سوى الصراخ والوعول ، والمطالبة باستعادته للمجتمع .

ترجمة وتلخيص : توفيق صرداوي

يوصف ؟ ... فلا ضرورة لذلك . وما هو القصد من وصف مثل تلك العملية البشعة ، كما يفعل ادباؤنا ؟

ان مدرسة تيسي وليامز ، وميلر ، والجيرن ، وباولز تقوم في حقيقتها على الاسهاب في وصف العملية الجنسية ، كما تفرق في تعريفات القوانين ، وتحاول ان تبرز لنا كل ما ينص عليه القانون ، ما يحرمه وما يبيحه ، وتترك كل ما اهتم به دستوفسكي .

ان دستوفسكي قد قدم لنا تجربة كما يفعل ادباؤنا . تجربة مرة ومؤلمة . ولكنها من وجهة نظر الفنان صورة مالوفة ، كما هو الحال في واقع كل تجربة او عمل انساني . لكن دستوفسكي ، اهل ما يمكن ان يقوله الطبيب عن حادثة الاعتصاب ، وكل ما دون في محضر المحكمة بالتفصيل ، ومع ذلك فهو لم يلق بمثل هذه التجربة امامنا دون ان يهتم بها او يعيرها اعتبارا ، لتكتشف نحن المفزى الذي يرمي اليه . انه يعرض لنا رجلا وقع تحت سيطرة الجريمة وما دعاه بالاعتراف قد جاء شفها على لسان المجرم امام المحكمة ، ثم خطيا في افادته عند الفاء القبض عليه ، ومع هذا فان ذلك الاعتراف ، ليس نسخة عن تلك الاعترافات التي تعودنا ان نسمعها من افواه المجرمين امام الحاكم .

وضمن هذا فان دستوفسكي يكشف لنا عن روح الانسان خالدة ومعرضة لان تشمره بمثل تلك الاعمال ، ولكن بالرغم من بشاعة نموذج هذا العمل فانه لا يمكن ان ينال من كون هذه الروح خالدة او فانية ، مطساء او بخيلة مجذبة . ان عمل دستوفسكي نقد شامل للشخصية الانسانية ، والظروف التي تحيط بها ، كما ان هذه الظروف هي اذلية ، تنطبق على كل نوع من الحالات التي يمر بها الانسان .

اذن .. فان هناك سببا ملاحا ، وهدفا معينا ، لدستوفسكي حين عمد الى تقديم مثل تلك التجربة في اطار فني يقتدى به . وليس مطلوبا من كتابنا ، ان يتبعوا طريقة دستوفسكي في التعبير عن التجارب التي يعيشها مجتمعنا ، حتى ولاهم مطالبهن باتخاذ نفس المادة التي اتخذها ارضا اقام عليها أدبه . ان الالتزامات الفنية ، هي ما يجب ان يتوفر لدى من يزعم انه كاتب رواية .

## نموذج المرأة

الصورة الفنية الحية للمرأة ليست موجودة في الادب الاميركي الحديث ، حتى ولا في ادب اية مرحلة من مراحل التاريخ ، وفي كل آداب العالم .

تلك الصورة التي تبرز المرأة كائنا حيا ، ليس شيئا جامدا ، صورة المرأة كما هي ، كما رسمها فلوير في روايته الرائعة « مدام بوفاري » كما رسمها تولستوي في روايته « ناتاشا » و « آنا كارنيينا » . ولم يكن دستوفسكي معاصر تولستوي في روايته التي قدمها للعالم ، ذا حظ في رسم شخصياته النسوية أكثر من غيره . فان النساء في رواياته من

## كتابان خطيران

لجان بول سارتر

تارنا في الجزائر

لهنري بيغ

الجلادون

ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الآداب